

"المنهج السليم في التعامل مع مشكل القرآن الكريم"

The proper approach in dealing with the problem of the Holy Quran.

عواد عبد الرحمن صياح الرويلي¹

Awad Abdel Rahman Sayah AIRrowaili

الملخص

يتناول البحث موضوع (مشكل القرآن الكريم) من خلال أربعة محاور رئيسة، هي: المحور الأول: التعريف بلفظي (مشكل – القرآن) لغة واصطلاحًا، وبيان المقصود بمصطلح (مشكل القرآن الكريم)، والمحور الثاني: الائتلاف والاختلاف بين البشر طبيعة خلقية، وكذا بيان الغرض من الاختلاف بين البشر، والمحور الثالث: أسباب الإشكال في القرآن الكريم بعد نبذة تاريخية عن المشكل في القرآن الكريم، والمحور الرابع: المنهج السليم في التعامل مع مشكل القرآن الكريم، وكذلك شمل المحور نماذج للإشكال في القرآن الكريم وطرق دفعه. وقد خرج البحث بالنتائج المرجوة منه، ونذكر منها: طرح منهج للتعامل مع مشكل القرآن الكريم بغية الوقاية والدفع. الكلمات المفتاحية: القرآن – مشكل – منهج.

Abstract

The research deals with the topic of the problem of the Holy Quran through four main Axes: the first axis: the definition of the two words (problem-Qur'an) language and terminology, and the statement of the term "problem of the Holy Quran", and the second axis: the coalition and the difference between human as beings nature of creation The purpose of the difference between human beings, and the third axis: the causes of the problem in the Holy Quran after a historical overview of the problem in the Holy Quran, and the fourth axis: the correct approach in dealing with the problem of the Holy Quran, as well as the axis included examples of forms in the Qur'an and ways of pushing it. The research has produced the desired results, including putting forward a method to deal with the problem of the Holy Quran with a goal of prevention and avoid.

Keywords: Qur'an- Problem - Method.

¹ أستاذ مساعد بكلية العلوم والآداب بجامعة الجوف، قسم علوم القرآن.

البريد الإلكتروني: drawad2030@gmail.com

مقدمة:

لا شك أن الاختلاف مبدأ كوني، ونلاحظه في آيات الخلق حولنا الدالة على قدرة الله -جل وعلا- المطلقة، والإنسان - حامل الأمانة- هو من أكبر الدلائل على الاختلاف كمبدأ إلهي في الخلق، فجال في ذهني أسئلة عن طبيعة تأثير هذا المبدأ على الإنسان أثناء التعامل مع القرآن الكريم، الذي هو كلام الله ﷻ المنزل على رسوله محمد بن عبد الله (ﷺ) المتعبد بتلاوته، والمعجز في لفظه ومعناه ودلالته وتركيبه وأسلوبه وغير ذلك.

يقول الله - تعالى -: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ (82) [النساء:82]، وعادة ما يقع القارئ في إشكال عند تلاوة القرآن الكريم وتدبر معانيه، خاصة وأن الله - تعالى- أنزل القرآن الكريم منه آيات محكمات وأخر متشابهات، قال ﷻ: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ..﴾ [آل عمران:7]، الأمر الذي قد يختلط على البعض عند فهمه معنى آية ما، وهنا يجب أن نعرف أسباب الإشكال وكيفية دفعه، والبحث عن أصل مشكل القرآن الكريم، وإيجاد منهج لدفع أي إشكال قد يقع فيه القارئ عند تلاوة القرآن الكريم وتدبره، لذا كانت مشكلة البحث.

مشكلة البحث وأسئلته:

تتبع مشكلة البحث من خلال غياب صريح صحيح في التعامل مع مشكل القرآن الكريم ومعرفة أسباب ذلك، وكيفية دفعه بمنهج سليم يسير، وكذلك تتبع من علاقتها بمبدأ الاختلاف بين الناس كمبدأ إلهي في الخلق. ولهذا تتبع كذلك من هذه المشكلة ثلاثة أسئلة هي:

1. ما المقصود بمشكل القرآن الكريم؟
2. ما علاقة الاختلاف بين الناس كمبدأ كوني بمشكل القرآن الكريم؟
3. كيف نحمي قارئ القرآن من الوقوع في مشكل عند تفسير وفهم وتدبر القرآن الكريم.

أهمية البحث: تعود أهمية البحث إلى رسم منهج واضح ويسير لكل مسلم، يحميه من الوقوع في أي مشكل في القرآن الكريم، وكذلك لغلق الأبواب أمام الدعوات الهدامة الساعية للعثور على أي ثغرة للتشكيك في النص بغية الفتنة وإثارة القلاقل بين المسلمين.

أهداف البحث: وهي، أهداف عامة تتمثل في:

1. تيسير علوم التفسير على كل مسلم.
2. غلق الأبواب أمام الدعوات الهادفة للتشكيك في النص القرآني.

وأهداف خاصة تتمثل في:

1. التعريف بمشكل القرآن الكريم وبيان أسبابه.
2. بيان العلاقة بين مبدأ الاختلاف الكوني وبين مشكل القرآن الكريم.
3. طرح منهج للتعامل مع مشكل القرآن الكريم بغية الوقاية والدفع.

محاور البحث وخطته:

المحور الأول: التعريف بلفظي (مشكل - القرآن) لغة واصطلاحًا:

المبحث الأول: التعريف بلفظي (مشكل - القرآن) لغة.

المبحث الثاني: التعريف بلفظي (مشكل - القرآن) اصطلاحًا.

المبحث الثالث: المقصود بمشكل القرآن الكريم.

المحور الثاني: الائتلاف والاختلاف طبيعة خلقية:

المبحث الأول: طبيعة الائتلاف بين البشر الخلقية.

المبحث الثاني: طبيعة الاختلاف بين البشر الخلقية.

المبحث الثالث: الغرض من الاختلاف بين البشر كمبدأ خلق.

المحور الثالث: أسباب الإشكال في القرآن الكريم:

المبحث الأول: نبذة تاريخية عن المشكل في القرآن الكريم.

المبحث الثاني: أسباب الإشكال في القرآن الكريم.

المحور الرابع: المنهج السليم في التعامل مع مشكل القرآن الكريم:

المبحث الأول: نماذج للإشكال في القرآن الكريم وطرق دفعه.

المبحث الثاني: المنهج السليم في التعامل مع مشكل القرآن الكريم.

منهج البحث: استندت في بحثي هذا على أدوات المنهج الوصفي في جمع المعلومات وما يتعلق بمشكل القرآن

الكريم من أقوال أهل العلم وتحليلها بغية تحقيق أهداف البحث، ثم استندت إلى المنهج الاستنباطي بغية

استخلاص منهج سليم في التعامل مع مشكل القرآن الكريم، وعلى هذا اتخذت هذه الاجراءات:

1. جمع المعلومات والأدلة من كلام أهل العلم حول ما يتعلق بمشكل القرآن الكريم.
2. جمع ما يتعلق بمشكل القرآن الكريم من آيات قرآنية سواء بالتصريح أو بالتلميح وتحليلها.
3. عزو الآيات القرآنية باسم السورة ورقم الآية في متن البحث.
4. الحرص على توثيق الاقتباس من أقوال أهل العلم في متن البحث.
5. توثيق التراجع والمراجع في ختام البحث وفق معايير APA للتوثيق العلمي.
6. تأصيل منهجية لضبط البحث تنطلق من جمع المعلومات، ثم تحليلها، ثم استنباط ما يخدم البحث.

الكتب والدراسات السابقة المتعلقة:

- كتاب "مشكل القرآن الكريم" للمنصور⁽²⁾، والذي تناول فيه موضوع مشكل القرآن الكريم بالتعريف عنه وذكر أسبابه، كما تعرض لطرح نماذج توضح مواضع الاشكال والخلط، ولم يتطرق لمنهجية تحول دون الوقوع في مشكل عند تلاوة وتفسير آيات القرآن الكريم بشكل دقيق متخصص.

- دراسة مسترجي⁽³⁾ بعنوان "المشكل اللغوي في القرآن الكريم: مستوياته وأسبابه"، والتي تناولت موضوع (مشكل القرآن) من جانب واحد وهو الجانب اللغوي من باب الاختصاص دون باقي جوانب الإشكال، ولذلك لم تتناول موضوع (مشكل القرآن الكريم) من كافة جوانبه ولم تضع أيضاً حلولاً منهجية تحول دون الوقوع فيه.

المحور الأول: التعريف بلفظة (مشكل) لغة واصطلاحاً:

في هذا المحور سنبحث في تعريف مصطلح (مشكل) سواء في اللغة أو في الاصطلاح، أما مصطلح (القرآن) فهو أسمى أن يُعرف، ثم نتناول المقصود بمصطلح "مشكل القرآن" بطرح أقوال أهل العلم فيه وتحليلها بغية التوصل لمفهوم جامع، وذلك من خلال المباحث الآتية:

المبحث الأول: التعريف بلفظة (مشكل) لغة.

أولاً: تعريف لفظ (مشكل) في اللغة:

يقول ابن منظور: (الشَّكْلُ، بالفتح: الشَّبْه والمِثْل، والجمع أشْكالٌ وشُكُولٌ، وهذا شيءٌ أشْكلٌ، ومنه قيل للأمر المشتبه مُشْكِلاً، وهذا شيءٌ أشْكلٌ، ومنه قيل للأمر المشتبه مشكل. وأشْكل علي الأمر إذا اختلط)⁽⁴⁾. وعند الفيروزآبادي: "الشكل: الشبه، والمثل، ويكسر، وما يوافقك ويصلح لك، تقول: هذا من هواي ومن شكلي، وأشْكل الأمر: التبس"⁽⁵⁾

(2) المنصور، عبد الله بن حمد: "مشكل القرآن الكريم"، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، الدمام- المملكة العربية السعودية، ط1، 1426هـ،

(3) مسترجي، زياد سلطي نهار، وسلمان محمد سلمان القضاة. "المشكل اللغوي في القرآن الكريم: مستوياته وأسبابه" رسالة دكتوراه. جامعة اليرموك، إربد، 2011.

(4) أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، معجم لسان العرب، (بيروت، دار صادر، ط3، 1414هـ) ج11، ص357.

(5) مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، (بيروت، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ط8، 1426 هـ - 2005م)، ص1019.

وعلى هذا فإن لفظ (مشكل) هو الاختلاط واللبس.

المبحث الثاني: التعريف بلفظة (مشكل) اصطلاحًا:

التعريف بلفظة (مشكل) في الاصطلاح:

في الاصطلاح يختلف تعريف مصطلح (مشكل) على حسب العلم والتخصص ظاهريًا، فتعريفه عند الأصوليين غير تعريفه عند علماء الحديث وغيرهم كما سنستعرض، كالآتي:

- عند علماء أصول الفقه يقول الأستاذ عبد الوهّاب خّلاف: المراد بالمشكل في اصطلاح الأصوليين: "اللفظ الذي لا يدل بصيغته على المراد منه، بل لا بد من قرينة خارجية تبين ما يراد منه، وهذه القرينة في متناول البحث".⁽⁶⁾

- وعند علماء الحديث: "المشكل هو الآثار المروية عن رسول الله (ﷺ) بالأسانيد المقبولة، وجاء ما يناقضها في الظاهر من آية أو حديث أو غير ذلك مما ظاهر ومعتبر، أو فيها ألفاظ أو معاني لا تعلم عند كثير من الناس".⁽⁷⁾

ويقول الإمام السيوطي: "هذا النوع من زيادتي، ويشبهه من أنواع علم الحديث: مختلف الحديث والفرق بينه وبين المتشابه: أن المتشابه لا يفهم معناه والمراد منه وهذا يفهم بالجمع"⁽⁸⁾.

- وعند البيانين وأهل البلاغة: "هو ما التبس على المتأمل لفظه أو معناه، لذاته أو أمر خارج عنه".⁽⁹⁾ وعلى هذا نستنبط أن المشكل، هو: "ما وقع فيه اللبس والاختلاط على المتلقي".

وفي هذا التعريف فإن المشكل غير مقيد وإنما مطلق بالعموم، ولم أخصه بنوع أو بحالة ما سواء في اللفظ أو في المعنى أو في غيرهما.

⁽⁶⁾ عبد الله بن حمد المنصور، مشكل القرآن الكريم، (الدمام: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، ط1، 1426هـ)، ص50.

⁽⁷⁾ المنصور، مشكل القرآن الكريم، ص47.

⁽⁸⁾ جلال الدين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد ابن سابق الدين الخضيرى السيوطي، التحبير في علم التفسير، ت/فتحي عبد القادر فريد، (الرياض: دار العلوم للطباعة والنشر، ط1، 1402هـ)، ص221.

⁽⁹⁾ مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، (القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ط4، 1425هـ/2004م)، ج1، ص491.

المبحث الثالث: المقصود بمشكل القرآن الكريم:

- سوف نستعرض بعض ما قيل في تعريف مصطلح (مشكل القرآن) في حديثهم عن مصطلح "مشكل القرآن"، ثم نتعرض لها بالتحليل بغية التيسير والفهم وصولاً لمفهوم جامع لمصطلح "مشكل القرآن الكريم"، كالاتي:
- يقول الزركشي: "وهو ما يوهم التعارض بين آياته وكلام الله جل جلاله منزه عن الاختلاف كما قال تعالى: ﴿ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾ ولكن قد يقع للمبتدئ ما يوهم اختلافاً وليس به فاحتيج لإزالته". (10)
- ويقول العمري: "هو الالتباس والاختلاط بين آيتين متقاربتين في المعنى، بحيث يصعب التوفيق بينهما دون الإمعان في النظر". (11)
- ويقول ابن عقيلة: "وأما المشكل: فهو ما أشكل معناه على السامع ولم يصل إلى إدراكه إلا بدليل آخر". (12)
- وآخر التعريفات التي نستعرضها هو تعريف المنصور قائلاً: "هو الآيات التي التبس معناها واشتبه، فلم يعرف المراد منها عند كثير من المفسرين". (13)
- نجد أن التعريفات السابقة تنظر إلى مصطلح (مشكل القرآن) بالعموم نظرة اللبس والاختلاط لا التناقض والاختلاف، ولا يقع هذا الاختلاط أو اللبس إلا على صنوف ثلاثة من الناس، هم: الجاهل، وأصحاب القلوب المريضة، والمفسر المبتدئ.

(10) أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ت/ محمد أبو الفضل إبراهيم، (دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، ط1، 1376 هـ - 1957م)، ج2، ص45.

(11) محمد أمين العمري، تيجان البيان في مشكلات القرآن، ت/ حسن الزور، (الموصل: مطبعة جامعة الموصل، ط1)، ص4.

(12) محمد بن أحمد بن سعيد الحنفي المكي، شمس الدين ابن عقيلة، الزيادة والإحسان في علوم القرآن، (الإمارات، مركز البحوث والدراسات جامعة الشارقة، ط1، 1427هـ)، ج5، ص134.

(13) المنصور، مشكل القرآن الكريم، ص68.



وقولنا (الجاهل) أي: من يبحث ويتدبر القرآن وليس على علم، فيقع في اللبس والاختلاط سواء في المعنى أو الدلالة للفظ ما في القرآن وما إلى ذلك، وقد يتوهم الاختلاف وقد لا يتوهمه حسب عقيدته، والتي يجب أن تتحصن بالعلم. أما قولنا (أصحاب القلوب المريضة)، فنشير به إلى المغرضين والمشككين وأصحاب الفتن، والذين يتبعون المتشابه في القرآن الكريم، كما قال ﷺ: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: 7]. أما قولنا (المفسر المبتدئ) أي: من يحاول التفسير، ويدرس علم التفسير، فيحتاط بالعلوم التي تمكنه من التفسير لكلام الله - جل وعلا-، مثل علوم اللغة والمعاني والبيان والقواعد وغيرها، وإلا قد يكون عرضة للوقوع في الاختلاط واللبس.

ومما سبق نستنبط مفهوم لمصطلح (مشكل القرآن)، كالاتي: " هو الاختلاط واللبس الذي يقع فيه القارئ أو المتلقي، ويتوهم فيه الاختلاف".

وقولي (الاختلاط واللبس) أشير به الاختلاط في المعنى، أو الدلالة، أو الإعراب، أو البيان، أو التأويل، أو غير ذلك بالعموم. وقولي (القارئ أو المتلقي) أشير به إلى كل إنسان يتعامل مع القرآن الكريم سواء بالتلاوة أو بالتفسير أو بالتدبر بالعموم. وقولي (يتوهم فيه الاختلاف) أي: التناقض -معاذ الله- نتيجة اختلاط الأمر عليه.

المحور الثاني: الائتلاف والاختلاف طبيعة خلقية:

من المبادئ الكونية في الخلق مبدأ الائتلاف ومبدأ الاختلاف، فهناك تشابه مشترك نجده بين الناس على سبيل المثال، وهناك أيضاً اختلاف بين وجلي بينهم، وسوف نبحت في هذا المحور عن طبيعة الائتلاف وطبيعة الاختلاف بين البشر كمبادئ خلقية، وكيفية توضيح المنهج القرآني لذلك، ثم نبحت عن الغرض من الاختلاف بين البشر كمبدأ خلق، وذلك من خلال ثلاثة مباحث، هي:

المبحث الأول: طبيعة الائتلاف بين البشر الخلقية:

إن الائتلاف الذي نشير إليه في النعم المشتركة بين البشر كخلق من خلائق الله ﷻ، والله تعالى قد أنعم على مخلوقاته بكثير من النعم، وخصنا نحن (آدم وذريته) بما يميزنا على سائر الخلق من نعم، كما قال -جل وعلا- في سورة التين: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين:4]، بل وقد أقسم -جل وعلا- على ذلك تكريمًا له وتعظيمًا لما هو مقدر له، ولفظة (الإنسان) هنا إنما هي لعموم بني آدم لا تخص ولا تميز فصيل عن آخر، إنما تخص هذا الكائن الذي لُقِّبَ بهذا اللقب تمييزًا له كخلق من خلق الله، ويأتي القسم بالتين والزيتون وطور سينين والبلد الأمين تبجيلًا وتعظيمًا لهذا الخلق، وأليست هذه نعمة لعموم البشر؟

إن الله -تعالى- خلق آدم ﷺ وهو أعلم بما سيكون من اختلاف ذريته في الجنس واللغة والدين وغير ذلك من شتى صنوف الاختلاف- سبحانه العليم الحكيم- ورغم ذلك فقد منَّ عليهم بجمعين بنعم ثابتة ومشاركة بينهم، كنعمة الخلق على سبيل المثال، والتي تتجلى قدرته -سبحانه- فيها، كما يفصلها في سورة (المؤمنون) فيقول ﷻ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ (12) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (13) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (14) ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ (15)﴾ [المؤمنون:12-15]، والتي جاء الطب الحديث ليتحدث في علومه عن مراحل تكوُّن الجنين في أواخر القرن العشرين المنصرم كإكتشاف علمي، وقد فضله الله تعالى في قرآنه الكريم، الذي نزل على حبيبه المصطفى (ﷺ) قبل ألف وأربعمائة عام، ونرى الطبيعة المشتركة في آلية خلق الإنسان، ومراحل خلقه، وكيفية تطورها، وفي ذلك يشترك الناس جميعهم من ذرية آدم (غ).

ونتطرق هنا إلى الآيات - على سبيل المثال لا الحصر- التي ذكرت بعض خصال الإنسان العامة وما فيها من

ائتلاف بين البشر جميعهم، قال ﷻ:

- ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَوِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ [النساء:28].

- ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾ [النحل:4].

- ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانَ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾ [الإسراء: 11].
- ﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ حَشِيئَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ فَتُورًا﴾ [الإسراء: 100].
- ﴿وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: 72].

ونلاحظ من الآيات السابقة أن المنهج القرآني يشير إلى ائتلاف البشر في بعض الخصال العامة، التي خلقه الله - تعالى - عليها، ومن هذه الخصال (الضعف)، فالإنسان مهما بلغت قوته ضعيفاً، ويدل على هذا الكثير من الدلائل مثل الفيروسات الدقيقة التي لا ترى بالعين المجردة، فهي رغم صغرها وشدة ضعفها إلا أنها جديرة بقتل الإنسان مهما كانت قوته، من هذه الخصال أيضاً (العجلة)، فالبشر جميعهم يتسمون بهذه الخصلة، ودائمًا يتعجلون خاصة أرزاقهم، وهو طبع دافعه الفضول وغيره.

ويتجسد الائتلاف بين البشر في النعم المشتركة بينهم، والتي من الله ﷻ عليهم بها، ويوضحها جلية المنهج القرآني في قوله ﷻ: ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ (8) وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ (9) وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ (10)﴾ [البلد: 8-10]، يقول ابن كثير في تفسيره: وقوله: ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ﴾ أي: يبصر بهما، ﴿وَلِسَانًا﴾ أي: ينطق به، فيعبر عما في ضميره، ﴿وشفتين﴾ يستعين بهما على الكلام وأكل الطعام، وجمالاً لوجهه وفمه. ﴿وهديناه النجدين﴾ قال سفيان الثوري، عن عاصم، عن زر، عن عبد الله - هو ابن مسعود - ﷺ: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ قال: الخير والشر. وكذا روي عن علي، وابن عباس، ومجاهد، وعكرمة، وأبي وائل، وأبي صالح، ومحمد بن كعب، والضحاك، وعطاء الخراساني في آخرين). (14)

المبحث الثاني: طبيعة الاختلاف بين البشر الخلقية:

(14) الإمام الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تفسير القرآن العظيم = تفسير ابن كثير، ت: محمد حسين شمس الدين، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1419هـ)، ج8، ص404.



إن الاختلاف مبدأ كوني في الخلق، فالله - جل وعلا- خلق البشر جميعهم متفقين في صفات وخصال عامة كما وضعنا في المبحث السابق، ثم صار شأنهم شأن الخلائق، يختلفون فيما بينهم في هذه الصفات، فعلى سبيل المثال لا الحصر، كل البشر يملكون عينين، ولكن يختلفون فيما بينهم في ألوانها، كذلك كل البشر لديهم عقل، ولكن يختلفون في طرائق تفكيرهم وآلية استخدامه، والمنهج القرآني نفسه وضح لنا ذلك في مواضع عدة، مثل قوله ﷻ:

- ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ [البقرة:253].
- ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام:83].
- ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِعَاقِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام:132].
- ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيُبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنعام:165].

هذه الآيات الكريمة وغيرها الكثير، تبين لنا طبيعة مبدأ الاختلاف بين البشر كمبدأ كوني في الخلق، ففي قوله ﷻ: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ [البقرة:253]، يتبين لنا أن الاختلاف وليس من باب التفضيل حتى بين صفوة الخلق، وهم الرسل -صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين-، يقول القرطبي: "وأحسن من هذا قول من قال: إن المنع من التفضيل إنما هو من جهة النبوة التي هي خصلة واحدة لا تفاضل فيها، وإنما التفضيل في زيادة الأحوال والخصوص والكرامات والألطف والمعجزات المتباينات، وأما النبوة في نفسها فلا تفاضل وإنما تتفاضل بأمور آخر زائدة عليها، ولذلك منهم رسل وأولو عزم، ومنهم من اتخذ خليلاً، ومنهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات، قال الله تعالى: ﴿ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينا داود زبوراً﴾ وقال: ﴿تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض﴾. قلت: وهذا قول حسن، فإنه جمع بين الآي والأحاديث من غير نسخ، والقول بتفضيل بعضهم على بعض إنما هو بما منح من الفضائل وأعطى من الوسائل". (15)

(15) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخرجي شمس الدين القرطبي، الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، ت/أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، (القاهرة، دار الكتب المصرية، ط2، 1384هـ - 1964م)، ج3، ص263.

وبيين لنا المنهج القرآني أيضًا بعض مظاهر الاختلاف بين البشر في غير موضع، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر، قوله ﷺ: ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ﴾ [النحل: 71].

في هذه الآية القرآنية الكريمة مظهر من مظاهر الاختلاف من باب التفضيل بين الناس، ألا وهو الاختلاف في الأرزاق، فكل إنسان له رزق معلوم، ولكن طبيعة هذا الرزق ومقداره، فهم يختلفون فيه، فترى هذا أوتي المال وذاك أوتي العلم، وثالث أوتي الصحة وغير ذلك، فكلها أرزاق من الله - جل وعلا-، ولكن الناس يختلفون فيها، يقول الطبري: "يقول تعالى ذكره: والله أيها الناس فضل بعضكم على بعض في الرزق الذي رزقكم في الدنيا".⁽¹⁶⁾

ولأن الله ﷻ هو رازق عباده وجميع خلقه، فإنه ﷻ ييسط رزقه على من يشاء، ويقدره على من يشاء، كما قال ﷻ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ [الإسراء: 30]. وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النمل: 15].

على لسان سيدنا داوود وابنه سليمان (ن) يتجسد مظهر من مظاهر الاختلاف بين الناس، ألا وهو العلم، فليس الناس جميعهم على علم، وليسوا جميعهم على جهل، وإنما هم بين هذا وذاك درجات، قال ﷻ: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (11) [المجادلة: 11]، و لا يستوى الناس في العلم، لقوله ﷻ: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: 9].

هذه النماذج التي ذكرنا، إنما توضح لنا طبيعة الاختلاف وبعض مظاهره بين البشر كمبدأ كوني، وحتى على مستوى الإنسان نفسه نجد الاختلاف واضح وجلي بين الأنسجة نفسها للجسد الواحد، فأنسجة العين غير أنسجة اللسان غير أنسجة الأذن وهكذا، وإن كان البشر جميعهم يمتلكون أعين وألسنة وآذان، وبهذا نستدل كما أشار لنا المنهج القرآني على الاختلاف بين البشر كمبدأ كوني في الخلق، وسوف نبحث في المبحث الآتي على أسباب الاختلاف بين البشر.

⁽¹⁶⁾ أبو جعفر الطبري محمد بن جرير بن يزيد، جامع البيان في تأويل آي القرآن = تفسير الطبري، ت: عبد الله بن عبد المحسن التركي، (الجزيرة، دار هجر للطباعة والنشر، ط 1، 1422هـ)، ج 17، ص 251.



المبحث الثالث: الغرض من الاختلاف بين البشر كمبدأ خلق:

يرشدنا المنهج القرآني إلى الغرض من الاختلاف بين البشر كمبدأ خلق، وحنماً فإن هذا الاختلاف بينهم يكون لأسباب يوضحها لنا المنهج القرآني تارة، وتبقى سرّاً لا يعلمه إلا الله تارة أخرى، فمن مقاصد الاختلاف التي وردت في المنهج القرآني، الآتي:

أولاً: قوله ﷻ: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنعام: 165].

الآية القرآنية توضح سبب من أسباب الاختلاف بين البشر، وهو الابتلاء أي: الاختبار، وفي ذلك يقول الطبري: "وأما قوله: (ليبلوكم فيما آتاكم)، فإنه يعني: ليختبركم فيما خولكم من فضله ومنحكم من رزقه، فيعلم المطيع له منكم فيما أمره به ونهاه عنه، والعاصي؛ ومن المؤدي مما آتاه الحق الذي أمره بأدائه منه، والمفرط في أدائه." (17) أي أن الاختبار من الأسباب الرئيسة للاختلاف بين الناس بغية معرفة المطيع الحامد من الناصر الجاحد، وهو المقصد من قوله - تعالى - ﴿لِيَبْلُوكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾، أي: ليختبركم في أعطاكم من نعم.

ثانياً: قوله ﷻ: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: 253].

ترشدنا الآية القرآنية الكريمة إلى أن من أسباب الاختلاف بين الناس التمييز بين المؤمن والكافر، ويتضح من ذلك حب الدنيا وحب الآخرة، خاصة وقد جاءتهم البينات أمام أعينهم، إلا أن هناك من آمن وأطاع واشترى آخرته مصداقاً لما جاء من البينات، وآخرون كفروا وعصوا واشتروا دنياهم على حساب آخرتهم، بعدما كذبوا تلك البينات والآيات العظيمة التي جاءتهم، هذا الاختلاف كان موجب الفرقة بين الفريقين والتي وصلت حد الاقتتال، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾.

(17) أبو جعفر الطبري، جامع البيان في تأويل آي القرآن = تفسير الطبري، ج12، ص289.



ثالثاً: قوله ﷺ: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ

بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحِمْتُمْ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [الزخرف:32]. إن من أسباب الاختلاف بين البشر في المنهج

القرآني، هو قضاء الحوائج وخدمة الناس بعضهم لبعض كما وردت في الآية الكريمة، وفي ذلك يقول طنطاوي: "فقال:

﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ ... أي: نحن قسمنا بينهم أرزاقهم في هذه الدنيا، ولم نترك تقسيمها

لأحد منهم، ونحن الذين - بحكمتنا - تولينا تدير أسبابها ولم نكلها إليهم لعلنا بعجزهم وقصورهم. ونحن الذين رفعنا

بعضهم فوق بعض درجات في الدنيا، فهذا غني وذاك فقير، وهذا مخدوم، وذاك خادم، وهذا قوى، وذاك ضعيف، ثم

ذكر - سبحانه - الحكمة من هذا التفاوت في الأرزاق فقال: ﴿لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾. أي: فعلنا ذلك

ليستخدم بعضهم بعضاً في حوائجهم، ويعاون بعضهم بعضاً في مصالحهم، وبذلك تنتظم الحياة، وينهض العمران.

ويعم الخير بين الناس، ويصل كل واحد إلى مطلوبه على حسب ما قدر الله - تعالى - له من رزق واستعداد.. وقوله

﴿سُخْرِيًّا﴾ بضم السين - من التسخير، بمعنى تسخير بعضهم لبعض وخدمة بعضهم لبعض، وعمل بعضهم لبعض،

فالغنى - مثلاً - يقدم المال لغيره، نظير ما يقدمه له ذلك الغير من عمل معين.. وبذلك تنتظم أمور الحياة، وتسير في

طريقها الذي رسمه - سبحانه - لها". (18)

رابعاً: قوله ﷺ: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة:11].

نستدل من الآية القرآنية الكريمة أن سبب من أسباب الاختلاف بين البشر هو التفضيل أو التكريم بغية التمييز، فالله

- جل وعلا - يحب العبد المؤمن المطيع الحامد الشاكر له على عطاياه، لذا فيميزه الله - تعالى - ويرفع درجته ومنزلته

بين الناس من باب التكريم، وحتى يقتدي به غيره من الناس.

(18) محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، (القاهرة، دار نهضة مصر، الفجالة، 1998م)، ج13، ص78.

وخلاصة القول إن الاختلاف بين الناس مبدأ خلق، وهذا الاختلاف يكون إما لحكمة ظاهرة بيّنة للناس، وإما يكون لحكمة لا يعلمها إلا الله -جل وعلا-، وعلى هذا فإن اللبس والاختلاف بين البشر وارد حتى في النص القرآني، كما اختلفوا قبله على الأنبياء والرسل أنفسهم.

المحور الثالث: أسباب الإشكال في القرآن الكريم:

سوف نبحث في هذا المحور عن تاريخ الإشكال في القرآن الكريم، ثم نبحت أسبابه ونتطرق عندئذٍ لأهميته، وذلك من خلال المبحثين الآتيين:

المبحث الأول: نبذة تاريخية عن المشكل في القرآن الكريم:

إن الوقوع في الإشكال في القرآن الكريم هو أمر نسبي، يختلف من فرد لآخر حسب قدرته على الفهم والاستيعاب، وليس الإشكال في القرآن نفسه لفظاً أو معنى أو ترطيب أو بياناً أو غير ذلك -معاذ الله-، إنما الإشكال في قدرة استيعاب المتلقي وفهمه لآيات القرآن الكريم، ولا بأس أن يقع الإنسان في إشكال أو اختلاط أو لبس عند تدبر آيات القرآن الكريم، وإنما عليه البحث بغية العلم والمعرفة والفهم بغية فض الإشكال، وتدبر الآيات كما ينبغي، ولعل الإنسان إذا التبس عليه أمر بينما يتدبر آيات القرآن الكريم، قد يتوهم المخالفة أو التعارض، وهذا ما يصبو إليه المغرضين وأصحاب الفتن، وقد يزداد الأمر سوءاً فيمتنع الإنسان عن التدبر مخالفاً أمر الله ﷻ في قوله: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: 82]، لذا فإن فهم مشكل القرآن الكريم وموضعه وتعلمه أمر غاية في الأهمية بالنسبة لكل مسلم، والصحابة الكرام لم يترددوا في تفسير آيات القرآن الكريم، وإذا وقع أحدهم في لبس رده إلى رسول الله (ﷺ)، فيوضحه له فيعرفه ويفهمه، ومن ثم فإن مشكل القرآن الكريم ليس بالأمر الجديد أو الحديث، بل هو من عهد رسول الله (ﷺ)، كما سنعرض في النماذج الآتية:

النموذج الأول: ما أخرجه الإمام البخاري في صحيحه⁽¹⁸⁾ قال: حدثنا حجاج بن منهال، حدثنا هشيم، قال: أخبرني حصين بن عبد الرحمن، عن الشعبي، عن عدي بن حاتم رضي الله عنه، قال: لما نزلت: ﴿حتى يبين لكم الخيط الأبيض

من الخيط الأسود ﴿البقرة: 187﴾ عمدت إلى عقال أسود، وإلى عقال أبيض، فجعلتهما تحت وسادتي، فجعلت أنظر في الليل، فلا يستبين لي، فغدوت على رسول الله (ﷺ) فذكرت له ذلك فقال: «إنما ذلك سواد الليل وبياض النهار» (19).

النموذج الثاني: ما أخرجه البخاري في صحيحه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: لما نزلت ﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا﴾ [الأنعام: 82] إيمانهم بظلم شق ذلك على المسلمين، فقالوا: يا رسول الله، أين لا يظلم نفسه؟ قال: «ليس ذلك إنما هو الشرك ألم تسمعون ما قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم» (20).

النموذج الثالث: ما أخرجه البخاري في صحيحه، أن عائشة، زوج النبي (ﷺ): كانت لا تسمع شيئاً لا تعرفه، إلا راجعت فيه حتى تعرفه، وأن النبي (ﷺ) قال: «من حوسب عذب» قالت عائشة: فقلت أوليس يقول الله تعالى: ﴿فسوف يحاسب حساباً يسيراً﴾ [الانشقاق: 8] قالت: فقال: «إنما ذلك العرض، ولكن: «من نوقش الحساب يهلك» (21).

من هذه النماذج نستدل على أن مشكل القرآن بدأ مع نزول القرآن الكريم في عهد رسول الله (ﷺ)، كما نستدل منها على وجود مشكل القرآن الكريم، وعلى اختلاف العقول في تدبره والوقوع في مشكلة في هذا التدبر ناتجة عن الاختلاط واللبس وتفاوت العقول في الفهم والاستيعاب.

ولا شك أن الكثير من أهل العلم تناولوا قضية مشكل القرآن الكريم منذ عهد الصحابة الكرام، ومنهم حبر الأمة وترجمان القرآن الصحابي ابن عباس (ت: 68هـ)، وقد تناول نوعين من مشكل القرآن الكريم، وهما: (الغريب) وقد تحدث عنه الإمام السيوطي في (الإتقان)، و(موهم الاختلاف والتعارض) والذي تناوله الإمام البخاري عن سعيد

(19) محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله (ﷺ) وسننه وأيامه = صحيح البخاري، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، (بيروت، دار طوق النجاة ط 1، 1422هـ)، كتاب الصوم، باب قول الله (ﷻ) (وكلوا واشربوا حتى يتبين ..)، ج 3، ص 28، رقم (1916).

(20) البخاري، صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: (ولقد آتينا لقمان الحكمة)، ج 4، ص 163، رقم (3429).

(21) البخاري، صحيح البخاري، كتاب العلم، باب من سمع شيئاً فلم يفهمه ..، ج 1، ص 32، رقم (103).



بن الجبير، كذلك الإمام ابن قتيبة (ت:276هـ) وله مؤلف مشهور تناول فيه مشكل القرآن وأثنى عليه أهل العلم واسمه (تأويل مشكل القرآن)، وغيره الكثير من أهل العلم، مثل الإمام الزركشي (794هـ) في كتابه (البرهان في علوم القرآن) حيث تناوله في النوع الخامس والثلاثين بعنوان (معرفة موهم المختلف)، وكذا الإمام السيوطي (ت:911هـ) في كتابه (الإتقان في علوم القرآن) حيث تناول الإشكال في القرآن الكريم في النوع الثامن والأربعين بعنوان (في مشكله وموهم الاختلاف والتناقض) وكذا غير عالم من علماء التفسير وعلوم القرآن وصولاً للعصر الحديث ومؤلف الشيخ عبدالله بن حمد المنصور بعنوان (مشكل القرآن الكريم) والذي تناوله كعلم إجمالاً وتفصيلاً.

المبحث الثاني: أسباب الإشكال في القرآن الكريم:

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "نعم، قد يكون في القرآن آيات لا يعلم معناها كثير من العلماء فضلاً عن غيرهم، وليس ذلك في آية معينة، بل قد يشكل على هذا ما يعرفه هذا، وذلك تارة لغرابة اللفظ، وتارة لاشتباه المعنى بغيره، وتارة لشبهة في نفس الإنسان تمنعه من معرفة الحق، وتارة لعدم التدبر التام، وتارة لغير ذلك من الأسباب". (22)

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية في قوله هذا الكثير من أسباب وقوع الإشكال في القرآن الكريم، ومنها أيضاً ما يلي:

أولاً: ابتداء أمر والاعتقاد في أصله في الكتاب والسنة:

يقول ابن تيمية في مجموع الفتاوى: "وأهل البدع بالعكس ابتدعوا ألفاظاً ومعاني إما في النفي وإما في الإثبات وجعلوها هي الأصل المعقول المحكم الذي يجب اعتقاده والبناء عليه ثم نظروا في الكتاب والسنة فما أمكنهم أن يتأولوه على قولهم تأولوه وإلا قالوا هذا من الألفاظ المتشابهة المشكلة التي لا ندري ما أريد بها. فجعلوا بدعهم أصلاً محكما وما جاء به الرسول فرعا له ومشكلاً: إذا لم يوافق". (23)

(22) تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحرائي، مجموع الفتاوى، ت/عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، (المدينة النبوية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، 1416هـ/1995م، ط1، ج17، ص400.

(23) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج17، ص306.

وهذا السبب الواقع فيه أهل البدع والفتن وأصحاب الدعوات الهدامة بغية التشكيك وزعزعة العقيدة، لتضليل العقول المسلمة، و يتخذون من ذلك ذريعة لمحاربة الدين الإسلامي الحنيف عن طريق زرع ألفاظ أو معتقدات ليس لها أصل في القرآن الكريم أو السنة النبوية المطهرة، إنما هي من محض طرائقهم الشيطانية، وبما أن ليس لها أصل فيدخلونها في المتشابهة في القرآن الكريم أو في الأحاديث المنكرة أو الموضوعة في السنة النبوية المطهرة، ويجعلون الكتاب والسنة فرع واعتقادهم ذاك أصل، ومثل أهل البدع والفتن الذين يقعون في هذا السبب، مثل الملاحدة والبهائيين وغيرهم.

ثانيًا: اختلاف الموضوع في الآيات:

إن الكثير قد يحدث عنده لبس أو اختلاط حين يتوهم -مثلاً- أن آيات قرآنية تتحدث عن نفس الموضوع بنفس الحكم أو المضمون، ولكن على القارئ المتدبر أن يدرك أن هذا سبب لإشكال قد يقع فيه، وعليه الانتباه عن طريق الرجوع لكتب التفاسير وأقوال أهل العلم، وانتقاء أفضل وأحسن الأجوبة.

ومثل هذا السبب ذكره الإمام الزركشي في البرهان وضرب عليه مثلاً، قائلاً: "ومنه قوله تعالى: ﴿فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة﴾ مع قوله في أواخر السورة: ﴿ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم﴾ فالأولى تفهم إمكان العدل والثانية تنفيه، والجواب أن المراد بالعدل في الأولى العدل بين الأزواج في توفية حقوقهن وهذا ممكن الوقوع وعدمه والمراد به في الثانية الميل القلبي فالإنسان لا يملك ميل قلبه إلى بعض زوجاته دون بعض وقد كان (ﷺ) يقسم بين نسائه ثم يقول: "اللهم هذا قسمي في ما أملك فلا تؤاخذني بما لا أملك" يعني ميل القلب وكان عمر يقول: "الله قلبي فلا أملكه وأما ما سوى ذلك فأرجو أن أعدل". (24)

ثالثًا: وقوع المخبر به على أحوال مختلفة وتطويرات شتى:

كقوله تعالى في خلق آدم إنه: ﴿من تراب﴾ ومرة ﴿من حمأ مسنون﴾ ومرة ﴿من طين لازب﴾ ومرة ﴿من صلصال كالفخار﴾ وهذه الألفاظ مختلفة ومعانيها في أحوال مختلفة لأن الصلصال غير الحمأ والحمأ غير التراب إلا أن مرجعها كلها إلى جوهر وهو التراب ومن التراب تدرجت هذه الأحوال.

(24) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج2، ص58-59.



ومنه قوله تعالى: ﴿فإذا هي ثعبان مبين﴾ وفي موضع ﴿تهتز كأنها جان﴾ والجان: الصغير من الحيات والثعبان الكبير منها وذلك لأن خلقها خلق الثعبان العظيم واهتزازها وحركاتها وخفتها كاهتزاز الجان وخفته. (25) ونضيف إلى أسباب وقوع الإشكال في القرآن الكريم ما أورده الإمام الزركشي في كتابه البرهان وكذا الإمام السيوطي في كتابه الإتقان، كالآتي: رابعاً: لاختلافهما في جهتي الفعل: قال تعالى: ﴿فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم﴾ أضيف القتل إليهم على جهة الكسب والمباشرة ونفاه عنهم باعتبار التأثير ولهذا قال الجمهور إن الأفعال مخلوقة لله تعالى مكتسبة للآدميين فنفي الفعل بإحدى الجهتين لا يعارضه إثباته بالجهة الأخرى.

وكذا قوله: ﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾ رمى أي ما رميت خلقاً إذ رميت كسباً وقيل إن الرمي يشتمل على القبض والإرسال وهما بكسب الرامي وعلى التبليغ والإصابة وهما بفعل الله عز وجل، قال ابن جرير الطبري: وهي الدليل على أن الله خالق لأفعال العباد فإن الله تعالى أضافه إلى نبيه ثم نفاه عنه وذلك فعل واحد لأنه من الله تعالى التوصيل إليهم ومن نبيه بالحذف والإرسال وإذا ثبت هذا لزم مثله في سائر أفعال العباد المكتسبة فمن الله تعالى الإنشاء والإيجاد ومن الخلق الاكتساب بالقوى، ومثله قوله تعالى: ﴿الرجال قوامون على النساء﴾ وقال تعالى: ﴿وقوموا لله قانتين﴾ فقيام الانتصاب لا ينافي القيام بالأمر لاختلاف جهتي الفعل.

خامساً: لاختلافهما في الحقيقة والمجاز:

كقوله: ﴿وترى الناس سكارى وما هم بسكارى﴾ أي سكارى من الأهوال مجازاً لا من الشراب حقيقة، وقوله: ﴿ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت﴾ وهو يرجع لقول المناطقة الاختلاف بالإضافة أي وترى الناس سكارى بالإضافة إلى أهوال القيامة مجازاً وما هم بسكارى بالإضافة إلى الخمر حقيقة، ومثله في الاعتبارين قوله تعالى: ﴿آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين﴾ وقوله: ﴿ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون﴾

سادساً: بوجهين واعتبارين:

كقوله: ﴿فبصرك اليوم حديد﴾ مع قوله: ﴿خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفي﴾ قال قطرب فبصرك أي علمك ومعرفتك بما قوية من قولهم بصر بكذا أي علم وليس المراد رؤية العين قال الفارسي: ويدل على ذلك قوله: ﴿فكشفتنا عنك غطاءك﴾ وصف البصر بالحدة.

(25) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج2، ص55.

وكقوله: ﴿الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله﴾ مع قوله: ﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم﴾ فقد يظن أن الوجمل خلاف الطمأنينة وجوابه: أن الطمأنينة تكون بانسراح الصدر بمعرفة التوحيد والوجل يكون عند خوف الزيف والذهاب عن الهدى فتوجه القلوب لذلك وقد جمع بينهما في قوله: ﴿تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم﴾ ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ﴿فإن هؤلاء قد سكنت نفوسهم إلى معتقدتهم ووثقوا به فانتفى عنهم الشك. سابعاً: معرفة الأسلوب لفهم مقصد اللفظ ومعناه:

إذ أن عدم فهم الأسلوب اللغوي يسبب إشكالية في فهم معنى اللفظ ودلالته، فيكون الإشكال، ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ [هود:87]، فقد يفهم من قوله ﴿إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ مدحهم لسيدنا شعيب عليه السلام، لأن دلالة اللفظين (الحليم الرشيد) تدل على ذلك، ولكن استخدامهما هنا كان على سبيل السخرية والاستخفاف لأنهم أعداء الله، وما كانوا ليمدحوا نبيه شعيب.

وخلاصة القول في هذا المبحث:

أن وقوع الإشكال في القرآن الكريم وارد الحدوث لعله ما متعلقة بالقارئ وليس بالنص، هذه العلة قد تكون لعدم قدرة القارئ على استيعاب المعنى أو الدلالة للفظ القرآني أو للآية القرآنية بشكل تام، أو لعله تقترب بشبهة في القارئ نفسه، أو لعله تقترب بلفظ له أكثر من معنى، أو لعله بيانية، أو لعله نحوية متعلقة بقواعد اللغة والإعراب، أو لعله تقترب بموضع أو مكان حدوث فعل ما، تناولته الآيات القرآنية في غير موضع.

المحور الرابع: المنهج السليم في التعامل مع مشكل القرآن الكريم:

سوف نبحث في هذا المحور المنهج السليم في التعامل مع مشكل القرآن الكريم، وبعدها تعرفنا على أسبابه سوف

نحتاج لنماذج للإشكال في القرآن الكريم وطرق دفعه، وذلك من خلال المبحثين الآتيين:

المبحث الأول: نماذج للإشكال في القرآن الكريم وطرق دفعه:

النموذج الأول: قال ابن قتيبة (ت: 276)، فقال: «وذهب أهل القدر في قول الله عز وجل: ﴿يضل من يشاء ويهدي من يشاء﴾ [النحل: 93، فاطر: 8] إلى أنه على جهة التسمية والحكم عليهم بالضلالة، ولهم بالهداية. وقال فريق منهم: يضلهم: ينسبهم إلى الضلالة، ويهديهم: يبين لهم ويرشدهم، فخالفوا بين الحكمين، ونحن لا نعرف في اللغة أفعلت الرجل: نسبته.

وإنما يقال إذا أردت هذا المعنى: فعلت، تقول: شجعت الرجل، وجبنته، وسرقته، وخطأته، وكفرتة، وضللتة، وفسقتة، وفجرتة، ولحنته... " (26). ومن طرق دفع مثل هذا الإشكال المعرفة اللغوية السليمة لألفاظ اللغة العربية، حتى يتسنى للقارئ عدم الوقوع في إشكال مثل هذا.

النموذج الثاني: يقول الإمام الزركشي: "﴿وقفوههم إنهم مسؤولون﴾ وقوله: ﴿فلنسالن الذين أرسل إليهم ولنسالن المرسلين﴾ مع قوله: ﴿فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان﴾ قال الحلبي: فتحمل الآية الأولى على السؤال عن التوحيد وتصديق الرسل والثانية على ما يستلزم الإقرار بالنبوات من شرائع الدين وفروعه حمله غيره على اختلاف الأماكن لأن في القيامة مواقف كثيرة فموضع يسأل ويناقش وموضع آخر يرحم ويلطف به وموضع آخر يعنف ويوبخ وهم الكفار وموضع آخر لا يعنف وهم المؤمنون

وقوله: ﴿ولا يكلمهم الله﴾ مع قوله: ﴿فوربك لنسالنهم أجمعين عما كانوا يعملون﴾ وقيل: المنفي كلام التلطف والإكرام والمثبت سؤال التوبيخ والإهانة فلا تنافي". (27) وطرق دفع مثل هذا الإشكال تأتي بفهم الأماكن والمواضع لموضوع الآيات الكريمة، كيلا يتوهم القارئ التعارض.

المبحث الثاني: المنهج السليم في التعامل مع مشكل القرآن الكريم:

يقول الله ﷻ: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا (82)﴾ [النساء: 82]، تصريح إلهي غاية في الأهمية بضرورة تدبر القرآن الكريم، يقول ابن كثير: "يقول تعالى أمرا عباده بتدبر القرآن، وناهاها لهم عن الإعراض عنه، وعن تفهم معانيه المحكمة وألفاظه البليغة، ومخبرها لهم أنه لا اختلاف فيه ولا اضطراب، ولا تضاد ولا تعارض؛ لأنه تنزيل من حكيم حميد، فهو حق من حق؛ ولهذا قال تعالى: ﴿أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها﴾

(26) أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تأويل مشكل القرآن، ت/ إبراهيم شمس الدين، (بيروت، دار الكتب العلمية، 1393هـ)، ص 80.

(27) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج 2، ص 55.



[محمد: 24] ثم قال: ﴿ولو كان من عند غير الله﴾ أي: لو كان مفتعلا مختلقا، كما يقوله من يقوله من جهلة المشركين والمنافقين في بواطنهم ﴿لوجدوا فيه اختلافا كثيرا﴾ أي: اضطرابا وتضادا كثيرا. أي: وهذا سالم من الاختلاف، فهو من عند الله. كما قال تعالى محبرا عن الراسخين في العلم حيث قالوا: ﴿آمنا به كل من عند ربنا﴾ [آل عمران: 7] أي: محكمه ومتشابهه حق؛ فلهذا ردوا المتشابه إلى المحكم فاهتدوا، والذين في قلوبهم زيغ ردوا المحكم إلى المتشابه فغووا؛ ولهذا مدح تعالى الراسخين وذم الزائغين". (28)

ولتدبر القرآن وفهم معانيه منهج وآلية تقلل الوقوع في إشكال أو تحد منه أو حتى تمنعه مع الراسخين في العلم، الذين من الله ﷻ بنعمة العلم فأراد بهم خيرا، والمنهج السليم في التعامل مع مشكل القرآن الكريم يرتكز على:
أولاً: التلاوة الصحيحة للفظ القرآني:

إن التلاوة الصحيحة للفظ القرآني تجعل فهمه أفضل وأيسر على القارئ، ونقصد بالتلاوة الصحيحة للفظ القرآني مراعاة الحركات والتشكيل للفظ، ومن ثم نطقه بطريقة صحيحة، وهذا من باب السلامة اللغوي للفظ القرآني ومن ثم التركيب كاملاً، والسلامة اللغوية مطلوبة عند قارئ القرآن حتى لا يستشكل عليه لفظ أو معنى أو دلالة أو تركيب، وإذا حدث ووقع إشكال فعلى القارئ التأكد من السلامة اللغوية للفظ أو التركيب أولاً عند التلاوة، ثم مراجعة استدراك المعنى. ولكي يسلم قارئ القرآن من الوقوع في مشكل لغوي عند تلاوة لفظ القرآن، عليه أن يلم بلهجات العرب وقتئذٍ، ليعي قراءة اللفظ، فللعرب لهجات شتى كانوا يطلقون عليها اسم (لغة)، وكلغة أهل الحجاز ولغة تميم، ولغة ثقيف، وغير ذلك والقرآن الكريم نزل بلغة قريش وهي أفصح الألسنة العربية، وإذا كان العرب تتفاوت لهجاتهم في المعنى الواحد بوجه من وجوه التفاوت فالقرآن الذي أوحى الله به لرسوله محمد (ﷺ) يكمل له معنى الإعجاز إذا كان مستجمعاً بحروفه وأوجه قراءته للخالص منها، وذلك مما ييسر عليهم القراءة والحفظ والفهم.

(28) الإمام الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تفسير القرآن العظيم = تفسير ابن كثير، ت: محمد حسين شمس الدين، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط 1، 1419هـ)، ج 2، ص 365.

ونصوص السُّنَّة قد تواترت بأحاديث نزول القرآن على سبعة أحرف، ومن ذلك ما رُوي عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أنه قال: " قال رسول الله، (ﷺ) : "أقرني جبريل على حرف فراجعتة ، فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف". (29)

ثانياً: تدبر القرآن الكريم بفهم معانيه وإدراك مقاصده:

أي التحقق بالقرآن فهماً وعلماً، كما قال ﷺ: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ (82) [النساء: 82]، وقال في سورة (محمد) : ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: 24]، فتدبر القرآن أمر واجب على قارئه، ويتأتى ذلك بفهم ما يقرأ وإدراك معانيه ومقاصده، ومما يحول دون الوقوع في مشكل حال تدبر القرآن هو معرفة أسباب النزول، وكذلك مناسبة الآيات لمواقف تختلف عن بعضها في حياة رسول الله (ﷺ)، وقد وضع علم أسباب النزول لبيان مناسبة الآية، والملم بهذا العلم يستطيع فهم عموم لفظ الآيات وخصوصيته، فيصل بذلك إلى مراد الله تعالى من الآيات، ولا يختلط عليه شيء.

ثالثاً: معرفة لغة القرآن معرفة كافية:

فالقرآن نزل بلسان عربي وبلغه العرب، قال ﷺ: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: 2]، وقال في سورة (الشعراء): ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء: 195]، وعلى القارئ أن اللغة العربية والتي كرمها الله ﷺ يجعلها لغة القرآن، تتميز بعدة خصائص، منها: التقديم والتأخير، والحذف والإضافة، والاشتراك اللفظي، وغير ذلك، ولها قواعد نحوية وصرفية ولغوية وبيانية، ولها مهارات أربع هي الاستماع والتحدث والقراءة والكتابة، ولكل مهارة قواعدها وخصائصها وغير ذلك، وليس المطلوب من القارئ الإمام بهذا كله وإن كان أولى، ولكن عليه الإمام بما يمكنه من تلاوة القرآن الكريم وفهمه وتداركه، أي أن القارئ عليه الارتقاء لمنزلة القرآن الكريم، وهذا الارتقاء يتأتى بتزكية النفس وتربيتها تأهيلاً لمقام القرآن الكريم، ومن ثم يقوم بالارتقاء بها أكثر وأكثر، وهذا ما يعمده أسلوب رسول الله (ﷺ) مع أهله وصحابته وهو يعلمهم القرآن.

(29) البخاري، صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، ج4، ص 113، رقم (3219) واللفظ له. ومسلم، صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافر وقصرها باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف، رقم (819).

وقد أورد ابن قتيبة في كتابه (تأويل مشكل القرآن) الكثير من مظاهر الإشكال في القرآن الكريم والمتعلق باللغة العربية وخصائصها من تقديم وتأخير، وحذف وإضافة، وكناية وتورية واستعارة وغير ذلك.

رابعاً: معرفة علوم القرآن:

وهي تلك العلوم المتعلقة بجل القرآن الكريم من تفسير ومعرفة المحكم والمتشابه، وأسباب النزول، والمكي والمدني، والناسخ والمنسوخ، غير ذلك، وكلها علوم يجب على كل مسلم بالعموم الدراية بها، حتى يتسنى له الوصول لمراد الله تعالى من آيات القرآن الكريم دون الوقوع في لبس أو خلط، أو حتى يحصل كل مسلم على الحد الأدنى من معارفها بما يجعله قادراً على التمييز بين المكي والمدني أو المحكم والمتشابه أو الناسخ والمنسوخ وغير ذلك، وما أجمل من انشغال المسلم بالقرآن وعلومه، فإن في ذلك نفع عظيم سواء في الدنيا أو الآخرة، فهي من الأسس التي يجب أن يشب عليها كل مسلم.

خامساً: التطبيق بالقرآن أو التخلق بالقرآن:

وذلك من خلال تطبيقه بالواقع والنظر في وجوه الإعجاز، وإذا وقع القارئ في إشكال ما، عليه رده إلى أهل العلم بالاختصاص، قال عليه السلام: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [محمد: 24]، وهو واجب على القارئ حتى يفيض الإشكال الواقع فيه.

ويكون التخلق بالقرآن من خلال تطبيق القارئ للقرآن على نفسه أولاً ثم على الواقع المحيط ثانياً، والتأمل فيه بغية فهم معانيه ودلالات ألفاظه، وصولاً لوجوه الإعجاز، قال عليه السلام: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطَّعُوا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [هود: 112]، وقال عليه السلام: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: 157].

إن النور الإلهي كي يُقذف في قلب المسلم، لابد أن يكون المسلم جديراً به، ولا يكون جديراً به إلا إذا امتلأ قلبه بالإيمان، وأولى بمن يريد مراد الله تعالى من آيات القرآن الكريم، أن تكون أخلاقه، بل حياته هي القرآن الكريم، وهو الدافع لاستجابة الله له، فينعم عليه من فيض نعمه ما يليق بالقرآن وأهله، ويهديه من الفهم والإدراك والحكمة ما يصل به لمراده من القرآن دون الوقوع في مشكل.

سادساً: الرجوع إلى أهل العلم:

والذين هم أدرى الناس بالقرآن والسنة من فتح الله ﷻ عليهم بالعلم، وهو ما أمرنا الله ﷻ به في قوله: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: 59]، يقول الإمام ابن كثير: "وقوله: ﴿فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول﴾ قال مجاهد وغير واحد من السلف: أي: إلى كتاب الله وسنة رسوله. وهذا أمر من الله ﷻ، بأن كل شيء تنازع الناس فيه من أصول الدين وفروعه أن يرد التنازع في ذلك إلى الكتاب والسنة، كما قال تعالى: ﴿وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله﴾ [الشورى: 10] فما حكم به كتاب الله وسنة رسوله وشهدا له بالصحة فهو الحق، وماذا بعد الحق إلا الضلال، ولهذا قال تعالى: ﴿إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر﴾ أي: ردوا الخصومات والجهالات إلى كتاب الله وسنة رسوله، فتحاكموا إليهما فيما شجر بينكم ﴿إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر﴾، فدل على أن من لم يتحاكم في مجال النزاع إلى الكتاب والسنة ولا يرجع إليهما في ذلك، فليس مؤمنا بالله ولا باليوم الآخر.

وقوله: ﴿ذلك خير﴾ أي: التحاكم إلى كتاب الله وسنة رسوله. والرجوع في فصل النزاع إليهما خير ﴿وأحسن تأويلاً﴾ أي: وأحسن عاقبة ومآلاً كما قاله السدي وغير واحد، وقال مجاهد: وأحسن جزاء. وهو قريب" (30).
كذا في قوله ﷻ: ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾ [محمد: 24]، فإذا وقع القارئ في إشكال عند تلاوة آيات القرآن الكريم وتدبرها، واستعصى على فهمه لفظ أو تركيب أو وقع في إشكالية ما، فعليه الرجوع إلى المفسرين وكتبهم واختيار أحسن الأجوبة القائمة على الدلائل القطعية الغير قابلة للشك، ولا حرج من ذلك أبداً فكل إنسان يجتهد فإن يخطئ ويصيب، لكن عليه دوماً الرجوع لأهل العلم ليتبين ما وقع فيه من إشكال سواء في القرآن الكريم بالخصوص، أم فيما يتعلق بأمر أخرى بالعموم.

سابعاً: العلاقة بين العبد وربه:

العلاقة بين العبد وربه درجات ومنازل، تبدأ بالإسلام ثم الإيمان ثم الإحسان وترتقي حتى الإخلاص، ولكل درجة في هذه العلاقة شروطها وصفاتها، فعن أبي هريرة، قال: كان النبي (ﷺ) بارئاً يوماً للناس، فأتاه جبريل فقال: ما الإيمان؟ قال: «الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته، وكتبه، وبلقائه، ورسله وتؤمن بالبعث». قال: ما الإسلام؟ قال: "الإسلام: أن

(30) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج2، ص 346.

تعبد الله، ولا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤدي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان". قال: ما الإحسان؟ قال: «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك».⁽³¹⁾ ولذلك فعلى القارئ المسلم الارتقاء في علاقته بربه إلى أعلى الدرجات بما يجعله جديراً بإنعام الله (تعالى) عليه بفهم مراده دون الوقوع في لبس أو مشكل عند تلاوة القرآن الكريم.

ثامناً: الانشغال بالدار الآخرة:

والانشغال بالدار الآخرة يقتضى عدم الانشغال بملذات الدنيا وشهواتها، وهذا يرتبط ارتباطاً وثيقاً بسمو العلاقة بين العبد وربه، ولا يعني ذلك الإمساك والتقشف، بل يعني التصدي للدنيا ومغرياتها، وكبح الشهوات الإنسانية بالتحكم فيها لا الانسياق ورائها، ولنا في رسولنا الكريم الأسوة الحسنة، فإن كان في حاجة للغنى والثراء، جعله الله أغنى الناس، ولو كان في حاجة للملك، جعله الله ملكاً متوجّاً، ولكنه يعرف الحقيقة ويرأها جلية (ﷺ)، فما كان مراده إلا رضاء ربه، وتحلقه بالقرآن، وهذا من أعظم الدروس التي يعلمها لنا (ﷺ) خاصة حين أتته قريش بأئسة يائسة لتعرض عليه الملك عليهم، وأن يكون أغناهم وأكثرهم مالاً، ولكنه (ﷺ) رفض، لأن ما عند الله خير دائماً وأبداً. فكيف لمن غوته الدنيا ويركض فيها ركض الوحوش -مثلاً- أن يمين الله (تعالى) عليه بفهم مراده إلا إن شاء ذلك لحكمة منه؟! منه؟! منه! منه!

إن الأولى بالمسلم الانشغال بالدار الآخرة، فذلك يجنبه الله به المعاصي ويرزقه الطاعات، فيرتقي ويسمو رويداً رويداً أعلى الدرجات، فينعم الله (تعالى) عليه بفهم مراده من القرآن الكريم حين يتلوه دون الوقوع في مشكل.

تاسعاً: أخذ العلم من أهله:

إن الله (تعالى) فضل الناس بعضها على بعض في العلم، ومن ينعم الله عليه بالعلم ينل خيراً عظيماً، وقد ورد في غير موضع في القرآن الكريم مكانة العلم وأهله، ويكفي أن نذكر قوله ﷺ: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا

(31) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي عن الإيمان والإسلام والإحسان، ج1، ص19، رقم (50). وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الإيمان والإسلام والإحسان، رقم (9،10).



يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿[آل عمران: 7]﴾، وهذه الآية الكريمة تخص موضوعنا بشكل مباشر، حيث تبين طبيعة الآيات القرآنية من ناحية، وفضل ومكانة العلم وأهله من ناحية أخرى، وهنا إشادة ومديح من الله (تعالى) في قوله ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾، ولذلك على المسلم أن يتلقى العلم ممن هم أهلُه، وليس غير ذلك، ليتلقى المعارف والعلوم بشكل صحيح، بما يحقق له فهم مراد الله (تعالى) حال تلاوة القرآن الكريم دون الوقوع في مشكل.

إن القرآن الكريم منزّه في حد ذاته عن الإشكال، ويبعد كل البعد عن مقاصد المفسدين وأصحاب الفتن، وعلى القارئ اتباع هذا المنهج ليقينه - بإذن الله تعالى - من الوقوع في إشكال عند تلاوة القرآن أو تدبره.

سئل الغزالي عن معنى قوله تعالى: ﴿ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا﴾ فأجاب بما صورته: الاختلاف لفظ مشترك بين معان وليس المراد نفي اختلاف الناس فيه بل نفي الاختلاف عن ذات القرآن يقال هذا كلام مختلف أي لا يشبه أوله آخره في الفصاحة إذ هو مختلف أي بعضه يدعو إلى الدين وبعضه يدعو إلى الدنيا أو هو مختلف النظم فبعضه على وزن الشعر وبعضه منحرف وبعضه على أسلوب مخصوص في الجزالة وبعضه على أسلوب يخالفه وكلام الله تعالى منزّه عن هذه الاختلافات فإنه على منهاج واحد في النظم مناسب أوله آخره وعلى مرتبة واحدة في غاية الفصاحة. (32)

نتائج البحث وتوصياته:

الحمد لله فقد خرج البحث بالنتائج المرجوة، محققاً أهدافه، ومجيباً عن أسئلته، ومن هذه النتائج:
أ. التعريف بمصطلح (مشكل القرآن الكريم) في اللغة والاصطلاح وبيان أسبابه.
ب. بيان العلاقة بين مبدأ الاختلاف الكوني وبين مشكل القرآن الكريم.
ج. طرح منهج للتعامل مع مشكل القرآن الكريم بغية الوقاية والدفع، وهو قائم على:

1- التلاوة الصحيحة للفظ القرآني:

2- تدبر القرآن الكريم بفهم معانيه وإدراك مقاصده.

3- معرفة لغة القرآن معرفة كافية.

4- التطبيق بالقرآن أو التخلق بالقرآن.

5- الرجوع إلى أهل العلم.

وقد أوصى البحث بما يلي:

- عمل دراسة تحليلية لمشكل القرآن الكريم، تلم جوانبه ومظاهره، وتشمل أثره على الفرد المسلم والمجتمع.
- دراسة المشكل في الأحاديث النبوية الشريفة في السنة المطهرة سواء تأصيلية أو تحليلية والمجال خصب.

المراجع والمصادر:

- (1) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم: "معجم لسان العرب"، دار صادر، بيروت، مادة (ش ك ل)، ط 3، 1414هـ، 11/ 357.
- (2) الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (المتوفى: 817هـ): "القاموس المحيط"، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة: الثامنة، 1426 هـ - 2005م، مادة (شكل)، ص 1019.

- (3) المنصور، عبد الله بن حمد: "مشكل القرآن الكريم"، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، الدمام- المملكة العربية السعودية، ط1، 1426هـ، ص50.
- (4) السيوطي، جلال الدين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد ابن سابق الدين الخضير السيوطي (المتوفى: 911هـ): "التحبير في علم التفسير"، ت/فتحي عبد القادر فريد، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض- المملكة العربية السعودية، ط1، 1402هـ، ص221.
- (5) مجمع اللغة العربية: "المعجم الوسيط"، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة- مصر، ط4، 1425هـ/ 2004م، مادة (أشكل)، 491/1.
- (6) السيوطي، جلال الدين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد ابن سابق الدين الخضير السيوطي (المتوفى: 911هـ): "الإتقان في علوم القرآن"، ت/ محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة- مصر، ط2، 1394هـ/ 1974م، 182/1.
- (7) القطان، خليل مناع القطان، مباحث علوم القرآن، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة 1421هـ - 2000م، ص16.
- (8) سلامة، عبد الفتاح محمد محمد سلامة: "أضواء على القرآن الكريم (بلاغته وإعجازه)"، الناشر/ الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة- السعودية، الطبعة: السنة الثانية عشر - العدد السادس والأربعون، 1400هـ، صفحة 86.
- (9) الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بھادر الزركشي (المتوفى: 794هـ): "البرهان في علوم القرآن"، ت/ محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، ط1، 1376هـ - 1957م، 45/2.
- (10) العمري، محمد أمين: "تيجان البيان في مشكلات القرآن"، ت/ حسن الزور، مطبعة جامعة الموصل، الموصل- العراق، ط1، ص4.
- (11) ابن عقيلة، محمد بن أحمد بن سعيد الحنفي المكي، شمس الدين، المعروف كوالده بعقيلة (المتوفى: 1150 هـ): "الزيادة والإحسان في علوم القرآن"، الناشر مركز البحوث والدراسات جامعة الشارقة الإمارات، الطبعة: الأولى، 1427 هـ، 134/5.
- (12) الجزمي، إبراهيم محمد: "معجم علوم القرآن"، دار القلم، دمشق- سوريا، ط1، 1422هـ/ 2001م، ص279.
- (13) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله (ت: 1376هـ): تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان = تفسير السعدي، ت: عبد الرحمن بن معلا اللويحي، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ، ج1 - ص122.
- (14) ابن كثير، الإمام الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: 774 هـ): " تفسير القرآن العظيم = تفسير ابن كثير "، ت: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1419هـ، ج8- ص404.



- (15) القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: 671هـ): "الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي"، ت/أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة: الثانية، 1384هـ - 1964م، ج3-ص263.
- (16) الطبري، محمد بن جرير بن يزيد، أبو جعفر الطبري (ت:310هـ): "جامع البيان في تأويل آي القرآن = تفسير الطبري"، ت: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر، الحيزة، مصر، ط 1، 1422هـ، ج17 - ص251.
- (17) طنطاوي، فضيلة الإمام محمد سيد طنطاوي: التفسير الوسيط للقرآن الكريم: دار نهضة مصر، الفجالة، القاهرة - مصر، 1998م، ج13، ص78.
- (18) البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي: "الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري"، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، 1422هـ، ج3-ص28، رقم (1916).
- (19) ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحراني (المتوفى: 728هـ): "مجموع الفتاوى"، ت/عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، 1416هـ/1995م، ط1، 400/17.
- (20) الطيار، د. مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار: "التفسير اللغوي للقرآن الكريم"، دار ابن الجوزي للنشر، الطبعة: الأولى، 1432هـ، ص35.
- (21) ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: 276هـ): "تأويل مشكل القرآن"، ت/إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 1393هـ، ص80.
- (22) ابن كثير، الإمام الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت:774هـ): "تفسير القرآن العظيم = تفسير ابن كثير"، ت: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1419هـ، ج2-ص365.